دروس في مقياس: مدخل إلى الآداب العالمية (محاضرات) أستاذ المقياس:د/زهرة طويل

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية ليسانس LMD التخصص:أدب عربي

المعامل:02 **الرصيد**:03

البريد الالكتروني: touilzahra2016@gmail.com

- **الأهداف العامة لمقرر مدخل إلى الآداب العالمية:**
- **من المتوقع في نهاية هذا المقرر :**

1- أن يتعرف الطالب على مفهوم الآداب العالمية.

2– أن يطلع الطالب على كنوز الآداب العالمية الثمينة و يدرك أهمية الآداب العالمية باعتبارها أساس المعرفة الحديثة.

3– أن يكتسب الطالب القدرة على الربط بين التأريخ لآداب الشعوب ونظريات المعرفة.

2– أن يعي الطالب الفرق بين التصورات النظرية والإجراءات التطبيقية في دراسة نصوصها .

3– أ ن يلم الطالب بالتصورا ت الشمولية المتعددة في الآداب العالمية.

4– أن يتبنى الطالب مبدأ التعدد والاختلاف باعتبارها محور الإبداع والأدب .

6– أن يستوعب الطالب تحولات الإبداع الإنساني في حضاراته المختلفة.

7– أن يقدر الطالب على التعامل مع الأدب من منظور علمي بعيد عن الانطباعية.

8– أن يعرف الطالب العلاقة بين المادة الغزيرة لتلك النصوص العالمية ومناهج قراءة النص الأدبي والنقد الحديث.

9– أن يختبر الطالب حصيلته المعرفية السابقة في التخصص في ضوء الآداب العالمية المختلفة.

- **قائمة لبعض المراجع الهامة التي يمكن أن يعود إليها الطالب لفهم أكثر لمحتوى مادة مدخل إلى الآداب العالمية:**

1– أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا، دار المعارف،ط2.

2- إحسان سركيس: الآداب القديمة علاقتها بتطور المجتمعات(بابل- مصر الفرعونية-الإغريق)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1،أكتوبر 1988.

3- محمد غلاب: مصابيح المسرح الإغريقي.

4- لبيب عبد الساتر:الحضارات،دار المشرق ،بيروت،لبنان،ط17،2008

5- محمد صقر خفاجة ، تاريخ الأدب اليوناني، سلسلة الألف كتاب 1956 .

6 - إميل فاجيه: مدخل إلى الأدب،ترجمة جديدة ومقدمة وإضافات وشروح مصطفى ماهر، (تعريف موجز بآداب الهنود والعبرانيين والإغريق واللاتين والفرنسيين والإنجليز والألمان والإيطاليين والإسبان والبرتغال والروس والبولنديين من البداية إلى مطلع القرن العشرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009،

7- ثروت عبد السميع محمد: التأثير والتأثر بين الأدب العربي والآداب الأخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب2012.

8 - محمد مفيد الشوباشي ، رحلة الأدب العربي إلى أوروبا، القاهرة،1968

9- محمد نور الدين: الأدب التركي الحديث(ملامح ونماذج)،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط 1، 1984.

10- زبير دراقي: محاضرات في الأدب الأجنبي،ديوان المطبوعات الجامعية.

11- حسام الخطيب: الأدب الأوربي تطوره ونشأة مذاهبه،دمشق،1972.

12- محمد عبد السلام كفافي:في الأدب المقارن،دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي،دار النهضة العربية بيروت ،ط1،1971.

13- علي عبد الفتاح:أعلام في الأدب العالمي، مركز الحضارة العربية،ط1، جويلية1999.

14- بديع حقي : قمم في الأدب العالمي، طلاس للدراسات و الترجمة والنشر ، 1987.

15- جوستاف لانسون : تاريخ الأدب الفرنسي، ترجمة :محمود قاسم، مراجعة سهير القلماوي 1962.

عزيزي الطالب أرحب بك في وحدة مدخل إلى الآداب العالمية، نافذتك إلى عالم المعرفة الإنسانية المختلفة، قديما وحديثا، تبحر عبره لتتعرف على أزمنة متعددة وإبداعات متنوعة وحضارات عتيدة ، ترجمت معالمها في كتابات أدبية مثلت موسوعة شاملة لحياتها الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية،والعلمية.

الأدب العالمي سفير الحضارة وواجهة ثقافة الشعوب ،فبواسطته نتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى وبواسطته نكتشف الآخر دون أن نراه أو يكون بيننا وبينه أي اتصال مادي، ولقد ثبت تاريخيا، وفي أكثر من مناسبة، أن الآثار الأدبية ساهمت كثيرا في التقارب الحضاري ومحو بعض الصور النمطية التي كانت تتشكل عند الأمم بعضها حول بعض.والمتتبع للتاريخ الأدبي يلحظ ،بما لا يدع مجالا للشك،أن الأدب هو الذي أثبت قبل غيره أن الثقافة الإنسانية يكمل بعضها بعضا، مما يدعو إلى الاكتشافات المتبادلة ،والثراء الحضاري الإنساني، فالأدب فكر إنساني جامح لا يعترف بالحدود السياسية أو الجغرافية أو الإثنية أو العرقية.

وسنحاول من خلال هذه الدروس أن نتعرف على الآداب الإنسانية التي ارتقت إلى مصاف العالمية آخذة مكانة مهمة ضمن سلسلة روائع الأدب العالمي.وإن كانت معايير تصنيف عالمية الآداب ماتزال محل دراسة ونقد،نظرا لاعتبارات موضوعية وأخرى ذاتية رفعت العديد من الآداب ، وأبعدت أخرى ذات جودة أدبية.

إن ما تقدمه هذه الدروس ليس إلاّ غيضا من فيض ونظرة سريعة على تراث شامخ متكامل، ومن هنا يجب أن نفهم وظيفتها على اعتبار أنها مجرد مدخل إلى الآداب العالمية، وهي تستقي قيمتها من محاولتها إثارة الاهتمام بالروائع التي أشرنا إليها في ثناياها. وإن توهم أي طالب، بأن هذه الدروس كافية لفهم أغوار الأدب العالمي، فهذا يعني انقلاب مهمة البحث رأسا على عقب، ذلك أن الأدب العالمي أدب غني ومتنوع وممتع ولا بد من الرجوع إلى منابعه الأصلية من أجل تذوقه والاستمتاع به والاستفادة من مختلف التجارب الإنسانية الأدبية ، وتحقيقا لهذا الغرض فقد زودنا الطالب بقائمة تضم بعضا من الروائع الأصيلة ،وهي روائع أدبية عالمية كمحاولة لوضع رصيد هائل من التجارب الإنسانية الأدبية أمام طلبتنا الأعزاء مما يتيح لهم التعرف على ثقافة الآخر،وتذوق جمالية نصوصه التي تختلف باختلاف الأدب وخلفيته الثقافية والدينية والفكرية،وغير ذلك من الأمور التي تميز أمة عن أخرى، والتي لابد لأي مثقف من قراءتها والإلمام

بمحتواها.ولمن يريد التعمق أكثر في هذه الروائع عليه قراءة محتواها و سبر أغوارها اعتمادا على الثبت الذي قدمناه له بقائمة تضم سلسلة لأهم عناوين الأعمال والروائع الأدبية القديمة والحديثة وكذا ما كتب حولها. ، وإن بالعودة إلى قائمة المصادر والمراجع المثبتة في بداية هذا المقرر

المحاضرة الثانية: الآداب الغربية القديمة:

أهداف المحاضرة:

– أن يطلع الطالب على كنوز الآداب العالمية الثمينة و يدرك أهمية الآداب العالمية باعتبارها أساس المعرفة الحديثة.

–أ ن يقدر الطالب على التعامل مع الأدب من منظور علمي بعيد عن الانطباعية

– أن يكتسب الطالب القدرة على الربط بين التأريخ لآداب الشعوب ونظريات المعرفة.

أقسام المحاضرة:

- **الآداب الغربية القديمة**
- **لمحة عن الأدب اليوناني القديم**
- **هوميروس المبدع الأول**
- **ملحمتا (الإلياذة والأوديسة)**

- **من المتوقع في نهاية هذه المحاضرة أن يكون الطالب قادرا على :**
- **أن يتعرف الطالب على الحضارة اليونانية القديمة جغرافيا وثقافيا.**
- **المعارف المسبقة المطلوبة لفهم المحاضرة :**
- **معرفة التاريخ الانساني الفكري والثقافي القديم.**
- **مراجع المحاضرة :**

- محمد غلاب:مصابيح المسرح الإغريقي ، الدار القومية للطباعة والنشر، 1963

- لبيب عبد الساتر:الحضارات،دار المشرق ،بيروت،لبنان،دط2008 .
- أحمد عثمان :الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا عالميا،دار المعارف،مصر ،.
- محمد عبد السلام كفافي:في الأدب المقارن،دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي،دار النهضة العربية بيروت، ط 1
- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، القاهرة، 1945 ، ج1
- إحسان سركيس ، الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات(بابل- مصر الفرعونية-الإغريق)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1،أكتوبر 1988.

- **نص المحاضرة:**

المحاضرة الثانية: الآداب الغربية القديمة:

تعرفنا في المحاضرة الأولى على مفاهيم الأدب العالمي ،وأهم المعايير التي تؤسس لمفهوم عالمية الأدب وتجعل من العمل الأدبي يسمو ويرقى إلى مصاف العالمية. وسنحاول في المحاضرة اللاحقة واستكمالا لما سبق ، أن نتعرف على الكنوز الأدبية العالمية وحضاراتها التي نشأت فيها لنتابع كل تفصيلاتها ،ولنبدأ بالآداب الغربية القديمة.

- أولا:- الأدب اليوناني القديم: تلألأ في تاريخ الإنسانية عصر ملك على القدماء مشاعرهم وأحاسيسهم ولا يزال يأخذ بمجامع قلوب المحدثين إلى اليوم، ونعني به العصر الإغريقي الذي يدعوه كبار المفكرين بـ" المعجزة الإغريقية"،وقد أفاضت تلك الأصقاع الممتازة – في عصورها الذهبية- على الإنسانية منحا من أنوار العلم وأضواء المعرفة،ونضج العقل،ومتانة الفكر،ورصانة الرأي،وخصوبة الخيال، والقدرة على الإحاطة بالمعاني ،والتفنن في صوغ المباني،والبراعة في الإلقاء ،وامتلاك ناصية حسن الأداء،ومراعاة البلاغة في جميع الأحوال- ولهذا كان من الطبيعي أن مجرد ذكر اسم المنتجات الإغريقية في البيئات المثقفة يوحي إلى نفوس عارفيها المستنيرين إعجابا عظيما ،بل احتراما ممزوجا بحب ناشئ عن تقدير الجميل والاعتراف بهذا الفضل العظيم الذي لا يجحد مهذب في الغرب ولا في الشرق أن العالم الحديث كله مدين به للعقل والخيال الإغريقيين،ولقد أصبح من المتفق عليه – بل من البديهي في كل الأوساط الأوروبية-أن الفكر الإغريقي هو وحده الذي كون

العقلية الأوروبية كافة.ومن يتأمل في المنتجات الفكرية للعصور الوسيطة ،يتبين له أن فلسفة الإغريق ونظرياتهم العقلية،هي التي شيدت تلك المنتجات من أساسها إلى قمتها. وليس هذا فحسب،بل أن المؤلف أو الكاتب الذي لم يتأثر بالخيال الإغريقي في كتابته ،وفي تفكيره،تعد منتجاته ضربا من ضروب العامية الجافة المبتذلة،لأن كل المستنيرين في أوروبا يؤمنون تمام الإيمان بأن ما يستمتعون به الآن من أدب رائع ،وثقافة خصبة ليس له إلا منبع واحد هو التراث الإغريقي.[1]

1– اليونان جغرافيا واقتصاديا: أردنا التعريف ببلاد اليونان جغرافيا واقتصاديا لأننا رأينا أنه لابد ولأن تتوافر للطالب خارطة عامة للبيئة العامة التي نشأ فيها الأدب الإغريقي وتطور.وان كانت تنقصها بعض التفاصيل المتعلقة بالعديد من الجوانب وذلك بسبب ضيق المجال نظرا لأهميتها في فهم الأدب.ومع ذلك فضلنا أن نعطي لمحة بسيطة فقط عن بلاد اليونان ورأينا ضرورة تسليط الضوء على الجوانب الفنية في هذا الأدب، ولمن أراد التوسع أكثر فقد فليعود إلى منابع الأدب اليوناني في مضانها الأصلية والتي أوردنا عناوينها في بداية هذا المقرر.

بلاد اليونان في مفهومها الحالي تحتل الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان .أما في القديم فقد شملت بالإضافة إلى بلاد اليونان الحالية شواطئ آسية الصغرى وجزر بحر ايجه.ولما قيض للإغريق أن يتوسعوا بحرا – في القرن الثامن – وصلبهم المطاف إلى البحر الأسود ،كما انتشرت مستعمراتهم على طول الشواطئ الشمالية من المتوسط حتى اسبانيا[2].

وطبيعة اليونان تتخللها شواطئ وسهول ضيقة منعزلة ،وأشهر جبالها البارناس ،والأولمب.أما الأودية والسهول فقد ساعدت على استقلال المدن،لصعوبة الاتصال فيما بيها. وفي بلد كاليونان تبرز أهمية الطرق الملاحية نظرا لوفرة أشباه الجزر والخلجان وتكاثر الأرخبيلات. وزاد التقاليد الملاحية رسوخا فقر البلاد الزراعي والمعدني،حيث لا تزرع إلا الحبوب والزيتون والكروم وخلافه من نباتات البحر المتوسط. وحيث لا يمكن الاتكال على المعادن المقتصرة على الفضة والرخام حول أثينا.وبالرغم من كل ذلك استطاع الإغريق أن يشيدوا حضارة قل نظيرها في العالم القديم .

---

[1] - محمد غلاب:مصابيح المسرح الإغريقي ، الدار القومية للطباعة والنشر، 1963 ، ص 3.

[2] – ينظر،لبيب عبد الساتر:الحضارات،دار المشرق ،بيروت،لبنان،دط2008 ،ص 19.

2- الأدب اليوناني القديم،نشأته وتطوره:هو الأدب المكتوب باللغة اليونانية القديمة من أوائل النصوص حتى عصر الإمبراطورية البيزنطية، يعود تاريخ أقدم الأعمال الباقية من الأدب اليوناني القديم إلى الحقبة العتيقة من التاريخ اليوناني، وما يبعث على الأسف أن الغالبية العظمى من كتابات الإغريق الأدبية قد فقدت ، وما تبقى لنا منها لا يعدو نسبة ضئيلة للغاية لا تعدو أن تكون فتاتا متبقي على مائدة كانت ضخمة وحافلة.

شبه بعض النقاد الأدب الإغريق في تطوره بالإنسان الذي تقابل طفولته الشعر والشعر أسبق في الأدب من النثر.وكانت الملاحم في طليعة ما ظهر من الفنون الشعرية عند الإغريق.أما الشعر التعليمي فيمثل مرحلة الصبا أي مرحلة تلقي العلوم والدروس،ويأتي الشعر الغنائي تعبيرا عن مرحلة الشباب بكل ما فيها من اهتمام بالذات وتأجج في العواطف والأهواء.وبعد ذلك نصل إلى الدراما فنقطف ثمار هذه المراحل الثلاث جميعا،ونعبر بالأدب الإغريقي إلى مرحلة الرجولة الناضجة ،وفي غضون ذلك ينمو النثر الأدبي رمزا الحكمة والتعقل أي سن الكهولة، والنثر فقد نشأ مع تطور العلوم والأبحاث والتحاليل ومع الخطابة والتأريخ. ثم تبدأ أعراض الشيخوخة في الزحف ،وفي سن الشيخوخة تضعف ملكة الإبداع ويلوك الناس ذكريات الماضي، وهنا يمكننا القول أن الأدب الإغريقي قد اتخذ مسارا تطوريا طبيعيا دون أن يقفز فجأة من عصر لآخر[3].

2-1- الأساطير:

يتعامل الأدب الإغريقي مع مشاكل الإنسان في كل زمان ومكان ، أي المشاكل الجوهرية المتعلقة بالوجود الإنساني نفسه.ومن ثم فإن تذوقه أمر ميسور،أما التجاوب معه فنتيجة مضمونة ،وتحلل مؤلفات الإغريق أقوال وأفعال الإنسان وتعلل نجاحه أو فشله في هذه أو تلك،وهكذا أعطى الإغريق لأدبهم أهمية خاصة وجدية ذات مستوى رفيع ونادر،فكسبوا له الخلود والعالمية.فالأدب عندهم وسيلة لفهم الحياة الإنسانية دون أن يكون مجرد نقد لهذه الحياة.ونلاحظ أن معظم الأدب الإغريقي لا يرتكز على الآلهة ولا على البشر وحدهم بل يمزج ما بين هذين العالمين لأنه يعتبرهما طرفين شريكين وعلى قدم المساواة في صنع عالم واحد ووجود واحد فريد من نوعه لم تعرف الآداب القديمة له مثيلا من قبل[4].

---

[3] - أحمد عثمان :الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا عالميا،دار المعارف،مصر ،ط2،دت،ص 8،ص9.

[4] - المرجع نفسه ، ص 9

تمثل الأسطورة أهم موضوعات الإبداع الأدبي – شعرا ونثرا- عند الإغريق.ومن ثم كان الإلمام بالأساطير أمرا ضروريا وحيويا بالنسبة لأي مؤلف مهما كان النوع الأدبي الذي يمارس الكتابة فيه ملحمة أو قصيدة تعليمية أغنية أو مسرحية ،خطبة أو مقالا فلسفيا.وذلك يعني أنه لما كانت الأسطورة ذات أصول شعبية قديمة بحيث لا تعرف أحيانا بدايتها – وهذا ما تتفق فيه جميع الشعوب-فإن تعامل الشعراء الإغريق مع مثل هذه الأسطورة يعد مثلا مبكرا ودرسا مفيدا في كيفية التعامل مع التراث وإعادة صياغته للتعبير عن الحاضر.ويصدق هذا على هوميروس الذي يمثل الصفحة الأولى من كتاب الأدب الإغريقي.لأنه دون شك قد ورث الأساطير التي يتعامل معها عن أجيال سابقة من الشعراء المتجولين الذين ربما كانوا قد أخذوها عن الشرق الأسيوي أي من حضارات الشرق القديم.[5]

2-2- الملاحم:ملحمتا هوميروس، الإلياذة والأوديسة -وتعودان إلى العصر الموكيني – هي أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقي،بيد أنه لمن المرجح أن تكون بذور الشعر الملحمي الأصلية قد جاءت من الأناشيد والتراتيل الدينية التي تتغنى بأمجاد الآلهة،والتي كانت تلقى أو تنشد في الأعياد والمهرجانات العامة ،ولقد نظم هذه الأشعار شعراء مجهولون أو بالأحرى أسطوريون،إذ لا نعرف عنهم سوى أسمائهم ومنهم :أورفيوس وموسايوس،وإيومولبوس.وجدير بالذكر أن أولى المسابقات في دلفى مركز العبادة القديم،ومن ثم كان الشعر الملحمي في بداية عهده من عمل وإلقاء مغني المعبد أو منشده الذي كان يعزف أثناء الإنشاد على القيثارة ."[6] وبذلك أمكننا القول بأن الإلياذة والأوديسة "تعتبران المظهر الشامل لما آل إليه فن الملاحم.فقد سبقتهما محاولات عديدة غير مكتملة النضوج .ويشهد على ذلك إشارات متعددة في الملحمتين إلى شعراء سبقوا هوميروس في هذا الميدان.[7]،كما كانت الإلياذة والأوديسة معينا خصبا للإلهام .استوحى منهما الفنانون موضوعاتهم،واستقى منهما المتعبدون أصول ديانتاهم قبل أن تتطور.

2-3- هوميروس المبدع الأول وملحمتاه (الإلياذة والأوديسة):

---

[5] – أحمد عثمان، المرجع نفسه، ص ،10

[6] - ينظر ،أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا،دار المعارف، ط2، ص 21.

[7] – ينظر،لبيب عبد الساتر:الحضارات ،مرجع سابق، ص 24.

هوميروس:(Homéros):ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفا من قمة شاهقة فسالت منه الأنهار هنا وهناك ونهل منه كل من جاء بعده في الأدب الإغريقي والروماني ثم الأوروبي والعالمي، صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشري.8

وقد شكك المشككون في حقيقة وجود هوميروس ،" وأن اسمه يعني إما (الرهينة) أو الأعمى أو حرفيا (الذي لا يبصر)، وذهب بعضهم إلى القول بأنه كان هناك عدة شعراء- لا شاعرا واحدا بهذا الاسم.ثم خفف هؤلاء من غلوائهم وقالوا أنه كان هناك على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم (الإلياذة) والآخر هو مؤلف (الأوديسا)"[9]

-أ- الإلياذة:

الإلياذة من أرقى ما كتب في الأدب العالمي تتكون من 15537 بيتا قسمت إلى أربعة وعشرين نشيدا ، هذا التقسيم بطبيعة الحال ليس من عمل المؤلف ، بل هو راجع إلى تقسيم المخطوط بين أربع وعشربن صحيفة من صحف البردي[10] وينسب هذا التقسيم إلى أريستارخوس ،في القرن الثاني قبل الميلاد.[11] تدور أحداث الإلياذة حول حرب طروادة واليونان، وقد دامت هذه الحرب عشرة أعوام،لكن الإلياذة تقتصر على حوادث الشهر الأخير مما يسمى حصار طروادة وتقول الحكاية :

اختلفت الآليات الثلاث (هيرا أو جونو إلهة الزواج) و(أفروديت أو فينوس إلهة الحب)و (أثينا أو مينرفا إلهة الذكاء) أيهن أجمل وقرر كبير الآلهة جوبتر أن يكون باريس بن بريام طروادة الجليل حكما بين الآلهات الثلاث ، فحم باريس لفينوس بتاج الجمال وبذلك جر عليه نقمة منافستيها هيرا وأثينا وكافأته أفروديت بأن أوقعت الفاتنة هيلانة زوجة ملك إسبارطة في غرامه ودفعتها إلى الفرار معه إلى طروادة، مما أثار ثائرة ملك إسبارطة وملك اليونان وأبطالها فهبوا لمحو العار وعلى رأسهم(أغاممنون)أخو الملك واتجهوا إلى طروادة

---

[8] - ينظر أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا،مرجع سابق، ص 17.

[9] – ينظر أحمد عثمان: نفسه ، ص 18

[10] – البردي : نوع قديم من الورق مصنوع من نبات البردي وهو نبات طويل تمتد سيقانه إلى أعلى وهي ذات مقطع مثلث الشكل،اشتهرت مصر بزراعته حتى تستخدمه في عده استخدامات ،لكن من أشهر استخداماته هو استخدام ورقها في الكتابة والرسم عليه

[11] – محمد عبد السلام كفافي:في الأدب المقارن،دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي،دار النهضة العربية بيروت، ط 1 ،1971،ص 129.

فتصدى لهم جيشا وعلى رأسه(هكتور)الأخ الأكبر لباريس، وانقسم الآلهة فيما بينهم قسم مع اليونان وقسم مع طروادة، وقسم على الحياد(جوبتر وأبولو) ولبثت الحرب نحو تسع

سنين، ثم حدث خلاف حول إحدى السبايا بين أغاممنون وبين أخيل أحد الأبطال الأسطوريين اليونان. ومن هذا الخلاف الذي تسبب في غضب أخيل يبدأ هوميروس البيت الأول من الإلياذة يقول: "غن أيتها الربة غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة "[12].فعلاوة على أن الشاعر هنا يرى أن الشعر إلهام ووحي يوحى من لدن الآلهة ربات الفن ،فإنه – ومنذ البداية يوضح لنا بيت القصيد في ملحمته ألا وهو (غضبة اسخيلوس المدمرة) وهكذا يضع لنا هوميروس المثل الذي يحتذى في فن الكتابة الأدبية والتأليف الإبداعي بصفة عامة، وهو الانطلاق نحو الهدف الذي يحدده المؤلف لنفسه مباشرة ومنذ الخطوة الأولى. وهو ما يسميه النقاد بمبدأ " إلى قلب الأشياء" والذي لا يزال ساريا إلى يومنا هذا"[13] .

هذا الأسلوب الفني الذي يتكرر حتى مع استهلال ملحمته الثانية –وهو ما سوف نتكلم عنه لاحقا-.

وبعد شرح ملابسات الخلاف الذي ينتهي باعتزال أخيل الحرب،يصف الشاعر هجوما يونانيا على طروادة تبعته مبارزة بين الخصمين الأساسين باريس وملك إسبارطة، وقد أعلنت الهدنة بين الجيشين حتى تمت المبارزة، وانقض الملك على باريس.

وفيما يلي وصف ممتع لمشهد:

هز رمحه ورماه، فاخترم به درع باريس

وكانت الضربة قوية فأطاحت بالفارس

وتمزقت عليه الدروع، لكنه اجتنب أن يذيقه المنون

فأتبع هذه الطعنة سيفا له من غمده الفضي

ورفع السيف ثم هوى به على العدو فوق الناصية

فتحطم السيف وانتشرت أجزاؤه من كفه البائسة

وقال: أنظر لم يصرعه رمحي وتبدد السيف من يديه

---

[12] – ينظر أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا،مرجع سابق ، ص 39.

[13] – نفسه، ص 38.-39

ونجا من السيف والرمح معاً هذا وكر على العدو مهاجما

وأمسك بجواده من غرة تدلت فوق الجبين

ليجذبه إلى معسكر الإغريق، وذلك ما فعل

وبهذا أضاف إلى النصر مجدا رائعا

لولا أن قطعت فينوس الرباط، فنظر الظافر إلى كفه

فإذا به لا يمسك من عدوه شاكي السلاح إلا خوذة فارغة

فأدار الخوذة حول رأسه وألقى بها بين الأصدقاء

وتجمع حول الخوذة الصحاب في هرج صائحين

وجدد الفارس العزم أن يستل من عدوه دماء حياته

واندفع إليه بعنف بهزج الرمح، وإذا بالملكة التي يعشقها العاشقون

تبدو من جديد لتنجد صاحبها من هذا اللقاء

وأنجزت ما أرادت في سر وإسراع

وأنها لتستطيع ذلك وهي الإلهة القادرة

فلفته في سحابة من نضار وغيبته عن العيون

وفي غرفته استعادت له الطلاقة والنشاط 14

ويعود الجيشان إلى الالتحام م ويبلي(هكتور) قائد الطرواديين بلاء حسنا في القتال وتشترك الآلهة في المعمعة وتبدو أمارات الهزيمة على الجيش اليوناني، ويحاول الوسطاء استرضاء أخيل للعودة إلى الحرب ولكن جهوده تذهب هباء وإذا بالإلهة جونو تغري (باتروكلس) صديق أخيل الحميم أن يشارك في المعركة فيقتل (باتروكلس) فتثور ثائرة أخيل ويهب للقتال ويتعقب (هيكتور) قاتل صديقه وتعينه الإلهة مينرفا فيقضي عليه بعد مبارزة حامية تظهر بطولة الغالب والمغلوب ،ويمثل بجثته تمثيلا فظيعاً ويجر جثته إلى معسكر اليونان ، ثم يقبل فدية يقدمها (بريأموس) ملك طروادة ووالد هكتور الذي يأتيه متوسلا حتى يستعيد بها جثمان ابنه ،

---

[14] – ينظر :أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، القاهرة، 1945 ، ج1 ، ص134 -135 .

ليدفن في طروادة في احتفالل مهيب [15].إلى هنا تنتهي الإلياذة، أما حكاية طروادة الأصلية فتقول أن اليونان قوضوا المدينة بعد ذلك وقتل في الحرب كل من أخيل وباريس.

ـ ب ـ بالأوديسة: واسمها بالإغريقية (أودوسييا)، مثلها مثل الإلياذة قصيدة(ملحمة) وطنية تروي في اثني عشر بيت مغامرات أوديسيوس (وهو أحد أبطال الإلياذة) ،والأوديسة امتداد للإلياذة،إذ أن وقائعها مرتبطة بوقائع الإلياذة،حيث تبدأ الثانية من حيث انتهت الأولى، ذلك لأن (أوديسيوس) ملك جزيرة (إيثاكا) ،يضل سبيله في العودة إلى موطنه،بعد انتهاء حرب طروادة فضرب في الأرض والبحر تائها وقذفت به الأمواج – بعد تحطم سفينته– من جزيرة إلى أخرى وأخذ يضرب في البلدان مخاطرا ومغامرا حتى يحتجز في جزيرة منعزلة لدى عروس الجزيرة (كاليبسو)، في حين كانت زوجته المخلصة (**بنيلوبي**) وابنه (**تليماخوس**) ينتظران عودته إلى وطنه على أحر من الجمر.

ويروي لنا الشاعر(**هوميروس**)ما لقيه تليماخوس من عنت مع خاطبي أمه الطامعين بمالها وما لقيه في رحلة البحث عن أبيه ، ويقص كذلك مغامرات أوديسيوس مع عروس البحر(**كاليبسو**) وتدخل الآلهة لإنقاذه كما يكشف خدعة حصان طروادة الذي تمكن اليونان بفضله من دخول المدينة المحصنة ويظهر كذلك صبر (**بنيلوبي**) وإخلاصها ومماطلتها لخاطبيها بحجة نسج رداء لأبي زوجها فكانت تغزله في النهار وتنكثه في الليل .وفي الأوديسة تفاصيل ممتعة عن مغامرات **أودوسيوس** مع إله البحر (**نبتون**) الذي أثار البحر على المغامر اليوناني وكاد يقضي عليه لولا تدخل آلهة أخرى.

وككل مخاطرته العجيبة مع **سيكلوب** (**العملاق ذي العين الواحدة**) **ابن إله البحر** (**نبتون**)، وحكايته مع الساحرة (**سيرس**) ومع ملك فيقيا وجولته في العالم السفلي (العالم الآخر عند اليونان) . وأخيرا يعود أوديسيوس إلى بيته ويستقر به المقام بين أحضان زوجته بعد معركة بل مجزرة دامية مع أعدائه وخدمه الذين تنكروا له.

يستهل هوميروس الأوديسة إذ يقول " غن يا ربة الشعر عن الرجل الرحالة الذي هام يجوب الآفاق بعد أن دمر مدينة طروادة المقدسة " ففي هذين البيتين كما في استهلال "الإلياذة" يناجي الشاعر مستجديا

---

[15] –ينظر:إحسان سركيس ، الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات(بابل– مصر الفرعونية–الإغريق)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1،أكتوبر 1988.

ربة الشعر لكي تلهمه الأغنية الملحمية التي يزمع إنشادها. وهو هنا كما فعل في استهلال " الإلياذة" يحدد موضوع ملحمته الذي لا يحيد عنه ولا يلف حوله في غير طائل ، فرحلات (أوديسيوس) التائه كغضبة (اخيليوس) في "الإلياذة" هي بيت القصيد وهي قلب الملحمة ولبها الذي يتجه إليه الشاعر مباشرة منذ اللحظة الأولى وبكل إمكاناته.

لكن رغم ذلك التشابه في الاستهلال وفي معظم خصائصهما ،قد شك بعض النقاد في نسبتها إلى شاعر الإلياذة ، فقد لاحظوا فروقا لغوية بين الملحمتين ،كما أن هناك اختلافات في المعلومات الجغرافية التي تضمنتها كل منهما.وتبدو الآلهة في الإلياذة أكثر جلالا ومهابة إلى عير ذلك من الحجج التي سيقت لتأييد هذا الرأي.أما الأوديسة ،فهي أكثر من الإلياذة إحكاما في ترابطها ووحدتها وللخلاف بين الملحمتين ظن بعض العلماء أن ناظم الأوديسة ليس هو ناظم الإلياذة.ومال أحسن النقاد رأيا إلى الجزم بانتماء الملحمتين إلى مؤلف واحد.

يتميز هوميروس بتكرار العبارات الملحمية المألوفة والموروثة التي – مع ذلك– تخلق انطباعا بالأصالة والواقعية .فكما أن تكرار هذه العبارات والحوادث هو نتاج طبيعي لتراكم الرواية الشفوية فإنه عند هوميروس بصفة عامة يعمل على طبع هذه الحوادث والعبارات في ذهن الراوي والسامع معا. كما يتسم الأسلوب الملحمي النمطي عند هوميروس بالحيادية ،أي أنه يترك الجمهور يحس بنفسه ولنفسه وهذا أسلوب يدفع هذا الجمهور إلى تركيز الانتباه في كل صغيرة وكبيرة.

ومع أن شخصيات هوميروس بطولية وخيالية إلا أنها بأفعالها وحياتها اليومية قابلة للتصديق وجد مقنعة، لتمتعها بالغرائز الأساسية والأحاسيس الإنسانية، فهاهو البطل الطروادي (هيكتور) يحاول تهدئة زوجته أو يداعب ابنه الصغير أو يعتني بأمه العجوز أو يعامل(هيليني)– سبب البلاء كله – بلين ولطف ومع أن هوميروس يتغنى– قبل كل شيء– بالأمراء والنبلاء الذين يحيطهم بعالمهم الخاص ، من أواني ذهبية وحولهم خدم من الجنسين ، ويتمتعون بالكرم والجاذبية وحسن المعاشرة والهيبة حيث يطلق عليهم هوميروس اسم (شبيهو الآلهة) ، رغم كل ذلك إلا أنه لم يهمل تماما عامة الناس، بل لا ينسى حتى متاعب الخدم ولا حتى الحيوانات ، فحصان اخيليوس بطل ويحمل اسما كسائر الناس وهو(كسانثوس) وينطق بصوت وحس

إنسانيين لدرجة أنه ينبئ سيده مقدما بموته المرتقب، وكلب أوديسيوس العجوز يحظى باهتمام بالغ ، ويصفه وصفا دقيقا وكأنه إنسان له مشاعره الخاصة، ولكنه مع ذلك يظل أنموذجا فريدا وخالدا للكلب المخلص.

وأبطال هوميروس في الواقع ليسو بشرا عاديين تماما،كما أنهم ليسوا من الآلهة ، ولكنهم يتحركون في المنطقة الوسطى الواقعة بين الآدمية والألوهية.وهم يميلون إلى هذا الجانب حينا ، ويبتعدون عنه إلى الجانب الثاني حينا آخر.

وهكذا يثبت هوميروس أنه كان رائدا مؤسسا في مجال رسم الشخصيات البطولية ،كما كان بالنسبة للحبكة الفنية ووحدة الحدث والموضوع الملحميين. فلكل من الإلياذة والأوديسة بداية ونهاية واضحتان وتتسلسل الأحداث فيهما تسلسلا منظما مترابطا ويؤلف حدا مقبولا من الوحدة العضوية على الرغم من وجود ثغرات كثيرة فيهما ولاسيما في الإلياذة، وتتوافر الموضوعية في الملحمتين بحيث لا نلمح أثرا مباشرا لذاتية الشاعر أو لعواطفه، وتتصف أفكار هومر بالبساطة والوضوح وهي تتدفق سريعة متلاحقة وتحتفظ بسمو ونبل لا يفارقانها حتى حين يكون الموضوع متعلقا بالأمور العادية كتحضير وجبة طعام.

لقد بقيت هاتان الملحمتان خالدتين خلال العصور ولهما تأثير قوي في أدب الرومان، وفي مطلع عصر النهضة،وكذلك تركتا بصماتهما على كثير من الإنتاج الشعري والروائي في العصر الحديث.. وكانت هناك عوامل كثيرة أدت إلى ذلك. فهناك جمال الشعر وروعته وجلاله، فهو شعر يصور العواطف والمشاعر الإنسانية، ويعبر ببساطة وصدق عن هذه العواطف. ويصور الحب والبغض والأمانة والخيانة، والشجاعة والبطولة . وهو كذلك شعر مرتبط بحياة اليونان، يلهب خيالهم بما يحدثهم به عن أمجادهم السابقة ، وحياة أبطالهم في العصور السالفة ، ويكفينا دلالة على ذلك أن بطلا تاريخيا مثل الإسكندر الأكبر يُروى عنه أنه كان يصطحب معه دائما نسخته الأصلية ، ويتخذ من شخص بطلها أخيل مثالا له وقدوة . ولا يزال شعر الإلياذة والأوديسة يقرأ لقيمته الأدبية، كما أن دارسي الحضارة يعتبرونه مصدرا أساسيا لكثير من المعلومات عن حضارة اليونان.فهو يصور كثيرا من أساطيرهم وعقائدهم وعاداتهم وقيمهم ومثلهم العليا.كما أنه يقدم معلومات كثيرة عن حضارتهم المادية ،فهناك وصف الحرب وآلاتها والسفن، وحياة الطبقة الأرستقراطية ،

وتقاليدها، وتعرض الأوديسة صورا للقصور الأنيقة،يسكنها علية القوم في هدوء واستقرار،حيث كانوا ينعمون بألوان من العيش المرفّه الأنيق ".16

أسئلة التقويم الذاتي :

- أذكر أهم الملاحم في العصر اليوناني وأشهر مؤلفيها؟

[16] – محمد عبد السلام كفافي:في الأدب المقارن،دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي،مرجع سابق،ص 132.